الأديان الأفريقيّة الوضعيّة
(الإطار والدلالة)

Normative African Religions
(framework and significance)

د. إسماعيل صديق عثمان

Dr.Ismail Siddig Osman

dr.ismailsiddig@gmail.com

المُستخلص

في هذا البحث المعنون ب (الأديان الأفريقيّة الوضعيّة، الإطار والدلالة)، استقصي الباحث مفهوم الأديان الوضعيّة وكونها أحد قسمي الأديان؛ فالأديان أما سماوية من عند الله عز وجل، أو وضعية وضعها البشر من عند أنفسهم، والأديان الوضعيّة قديمة قدم الإنسان ومنتشرة في عمق أفريقيا، وتتلخص الإشكالات الرئيسة المتعلقة بالديانات الأفريقيّة في القضية الجوهرية لوحدتها وتنوع مظاهرها، وأيضا حول وجود نسق ميتافيزيقي إفريقي مختلف شكَّل الشخصية الأفريقيّة التقليديَّة.

وقف الباحث على الأديان الوضعيّة في أفريقيا وكيفية أداء طقوسها وعلاقتها بالأسطورة وأثرها في المجتمع، ولتحقيق المرامي التي سعى إليها الباحث اتبع المنهج الوصفي التحليلي من خلال اسلوبي الاستنباط والاستقراء، ومن أهم النتائج التي خلص اليها البحث أنه: يمكن تقسيم الأديان الوضعيّة في أفريقيا إلى قسمين، هما: **الأديان الوضعيّة المحليَّة**: التي تم تناقلها شفهياً منذ ما قبل التاريخ، و**الأديان الوضعيّة الوافدة**: وهي تلك الأديان المستمدّة من الأديان الوضعيّة التي تطوّرت في كل قارات العالم، كما أنه ليست للديانات الأفريقيّة الوثنيّة كتب مقدسة كتلك التي للوثنيات المشهورة، وأن الأديان عديدة الآلهة في أفريقيا متسامحة في عقائدها، ويمكنها بسهولة قبول أديانٍ وعقائد أخرى.

الكلمات المفتاحية:

الأديان الوضعيّة، أفريقيا، الطقوس، الألهة، الأسطورة.

Abstract

In this research entitled (Normative African religions، framework and significance)، the researcher investigated the main concepts of traditional religions، which is one of the two divisions of religions. Religions are either heavenly i.e. from God Almighty، or have been setted by humans themselves. The traditional religions are as old as man and spread deeply in Africa. The main problems related to the African religions are summarized in the essential issue of their similerities and the diversity in their manifestations، and also about the existence of a different African metaphysical system which has reformed the traditional African personality. Among the most important findings of the research is that: the traditional religions in Africa can be divided into two parts: the local traditional religions: which have been transmitted orally since prehistoric era. The incoming traditional religions: They are religions derived from traditional religions that have been originated in all continents arround the world. The African paganism religions do not have holy books like those of other famous pagans، or written funeral rites in a sacred language. The polythesim religion bleivers in Africa are so tolerant in their believies، and they can easily accept other religions and believies.

Keywords: Normative religions.Africa.The ritual. Gods.The legend.

المقدمة

اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم سنة قدَّرها وقضاها ربُّ العالمين لحكمةٍ عظيمةٍ، وغايةٍ جليلةٍ، وهي الابتلاء والاختبار، يقول تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[١] والمراد بالاختلاف هنا: الاختلاف في الدين[٢] وليس في الألوان والأذواق واللغات ونحوها.

الأديان الوضعيّة أو التقليديَّة: هي أحد قسمي الأديان؛ فالأديان إما سماويَّة أتى بها الأنبياء والرسل من عند الله عزَّ وجل، أو وضعيَّة وضعها البشر من عند أنفسهم، لا عن طريق الوحي، وهو جملةٌ من التعاليم والقواعد العامة التي اصطلحوا عليها، وساروا على منوالها، وخضعوا فيها لمعبودٍ معينٍ، أو معبوداتٍ متعددة.

والأديان الوضعيّة قديمة قدم الإنسان، ومنتشرة في أصقاع العالم أجمع وفي عمق أفريقيا خاصة، وتضم في جوانحها عباداتٍ دينيَّة ونواميس مختلفةً ومتعددةً.

وقد بدأت دراسة الأديان الأفريقيّة قبل أكثر من قرن تقريباً، قام بها علماء السلالات البشرية والمبشرون الكنسيون، ولم تكن كلمة (دين) أو (عقيدة) تطلق من قبل على الشعائر الممارسة في إفريقيا، بل جاء وصفها بهذه العبارات متأخراً. واذا نظرنا إلى الإحصائيات الرسميَّة التي تتناول الجغرافيا الدينيَّة لإفريقيا جنوب الصحراء كمثال، نجد ان السكان ينقسمون إلى ثلاث فئات: فئة الإحيائيين والمسيحيين والمسلمين، وهنا تظهر مشكلة التنوع والتعددية الدينيَّة بكل سماتها

وصفاتها، فالإحيائيون يعتمدون على المظاهر الطبيعية والروحيَّة في تفسير الكون ومصير الانسان، أما المسيحيون فيعتمدون على قانون الايمان المسيحي المنبثق من تعاليم الكنيسة الرسولية أو العالمية، على الرغم من أنهم قد شهدوا تطوراً قويَّاً خلال السنوات الأخيرة.

وتتلخص الإشكالات الرئيسة المتعلقة بالديانات الأفريقيّة في القضية الجوهرية لوحدتها وتنوع تمظهراتها، وأيضا حول وجود نسقٍ ميتافيزيقيٍّ إفريقي مختلف، شكَّل الشخصية الأفريقيّة التقليديَّة ما يستدعي دراسة الطابع التطوري للديانات الأفريقيّة، ويُعد مصطلح الأديان الوضعيّة مُصطلحاً شاملاً يستخدم لجميع الأديان العرقيَّة والموروثات الدينيَّة الشعبيَّة التي تمارسها الشعوب الأفريقيّة؛ ولتحقيق المرامي التي يسعى إليها الباحث سيتبع المنهج الوصفي التحليلي من خلال اسلوبي الاستنباط والاستقراء، وعليه فسيجمع البحث بين الأسلوب الاستنباطي والاستقرائي.

المطلب الأول: تاريخ ومفهوم الأديان الوضعيّة في أفريقيا.

أولاً: مفهوم الأديان الوضعيّة

لعل أهم المصطلحات التي تحتاج إلى إضاءةٍ في بداية هذا البحث هو مصطلح (الدين) نفسه، والحديث عن مصطلح (الدين) قد ينتهي بتقرير عدم إمكانية وضع تعريفٍ جامعٍ مانعٍ له، ولكن لا بأس من الإشارة إلى بعض محاولات التعريف. فقد ورد في أحد القواميس العالميَّة في تعريف الدين: (اعتقاد في قوةٍ فوق الطبيعة وتقديس لها باعتبارها خالق وحاكم الكون)[٣]. وهذا التعريف الشائع لا يفي بغرض تعريف الدين على مستوى كل الثقافات الإنسانيَّة؛ فهناك أديانٌ لا توجد فيها فكرةٌ مركزيَّةٌ عن (قوة) بمعنى (إله) كما يوحي التعريف المشار إليه؛ يضاف إلى ذلك أنه لا يمكن حصر (الدين) في الاعتقاد، كما في التعريف السابق، وقد اتبع دور كايم منحىً آخر ذا طبيعة أكثر واقعيةً عندما استبدل مصطلح (الدين) بمصطلح (الحياة الدينيَّة)، ووضع كتاباً

كاملاً بعنوان: (الصور الأولية للحياة الدينيَّة)[٤]. غير أن (وضعية) دور كايم وماديته الطاغية تقلل من قيمة موضوعيته، وتقرب نزعته العامة في هذا السياق إلى (الأيدولوجية).

وقد فضل البعض التعريف الإجرائي للدين لأغراض دراسةٍ محددةٍ دون التأكيد على إمكانية تعميمه، أما الفلاسفة فلهم تعريفات شتى، فمثلاً يرى هربرت سبنسر أن الدين هو:(الاعتقاد بالحضور الفائق لشيءٍ غامضٍ وعصيٍّ على الفهم)[٥]. وقد طور بعضهم تعريفاً أشمل حيث أضافوا إلى (المعتقدات) الممارسات التعبدية، كذلك احتل مفهوم (الدين) مكاناً بارزاً في الفكر الإسلاميّ الحديث، ومن ذلك ما كتبه أبو الأعلى المودودي في المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله، الرب، الدين، العبادة) وما ذهب إليه سيد قطب مطوراً بعض أفكار المودودي في (ظلال القرآن) وغيره من مؤلفاته.

ولقد أوضح الجرجاني في التعريفات أن الدين هو وضعٌ إلهيٌّ يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات[٦]. ويبدو من التعريف الإسلاميّ للدين أنه حصر مسمى الدين في دائرة الأديان الصحيحة المنبثقة من الوحي الإلهي، وهي التي تتخذ معبوداً واحداً هو الخالق المهيمن على كلِّ شيء، فالديانة الطبيعيَّة التي تستند إلى العقل، والديانات الخرافية التي تستند إلى الأوهام والأساطير، والوثنيّة التي تتخذ من التماثيل آلهةً لا ينطبق عليها تعريف الدين مع أن القرآن الكريم قد سماها كذلك حيث يقول الله تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[٧].

ثانياً: تأريخ الأديان في أفريقيا

تاريخ الأديان: هو العلم الذي يبحث في تطور المعتقدات الدينيَّة التي طرأت على حياة البشر ومن ضمنها معتقدات الشعوب البدائية ومعرفة طقوسها التي لم يكن لها تاريخ ونظام، كما يبحث عن التمييز بين عقيدة التوحيد وتعدد الآلهة بين الأديان البدائية والعصرية.[٨] كما يشير إلى سجل من الأفكار والتجارب

العقائدية التي اعتقدها الإنسان منذ قديم الزمان. وفي قارة إفريقيا ـ ونظراً لتعدد الديانات ـ يزداد تقصي تاريخ الأديان تعقيداً فالجدول الزمني لتاريخ الأديان في افريقيا هو عبارة عن فتراتٍ تاريخيةٍ متسلسلةٍ لها علاقة وثيقة بالتراث الشعبي. وقد قام الاستعمار الأوروبي خلال القرن الثامن عشر بنشر المسيحيَّة في أفريقيا جنوب الصحراء، وقد شهد القرن التاسع عشر بداية الانفتاح في أوروبا، وتمرد الطبقات الكادحة على النبلاء من خلال الثورة الفرنسية، أما في القرن العشرون فقد ظهرت الأنظمة الدكتاتورية في أفريقيا والتي سعت في التخلص من الأديان بشكلٍ واضح، وقد افرز هذا الواقع ظهور عددٍ من الحركات الدينيَّة المناوئة للأنظمة القائمة، وعلى الرغم من وجود تداخلٍ بين الفئتين الأفريقيّة البدائية والوافدة الا أن هنالك مظاهر من الاختلاف العقائدي خاصة عند المجموعات المحليَّة الذين لهم السمة الأفريقيّة وتحديداً عند قبيلة اليوروبا، وهو ـ على الأرجح ـ يعد من أكبر التقاليد الأفريقيّة الدينيَّة القبلية تعقيداً.

وكان اليوروبا تمثل دين الاجناس القديمة التي عاشت في أفريقيا منذ عهودٍ سحيقة، فهولاء لهم علاقةٌ وثيقةٌ مع المجموعات الدينيَّة خارج أفريقيا ومنها مثلاً في مناطق أمريكا الجنوبية والولايات المتحدة وجنوب شرق أسيا كالهنود والصينيين واليابانيين وغيرهم، ومع ذلك لا تزال تعلن الانتماء إلى هذا النظام الديني القائم على التبعية لأفريقيا. وقد انتشرت الطقوس الدينيَّة المتماسكة والمعتقدات والمنظمات في عالم اليوروبا وشملت ما يعرف بالفون Fon مما جعلها تتسم بخصائص الأديان الوضعيّة العالميَّة بعيدا عن القبلية.

وذهب بعض مؤرخي الأديان إلى أن هذه المجموعات التي تعتنق الطقوس المحليَّة يتوزعون بين أكثر من ٤٠ دولة، ويقدر عددهم بحوالي ٧٠ مليون نسمة وذلك في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، وقد ارتبطت الدراسات الأولى في ميدان المجتمعات الأفريقيّة بالعلماء والقساوسة والكتاب من أوروبا الغربية في مجالات التاريخ والآثار واللغات والأديان والفنون وغيرها. وكان النصيب الأوفر من هذه الدراسات النظرية والميدانية على يد أنثربولوجيي القرن

التاسع عشر وبداية القرن العشرين الذين وفدوا للقارة مع وعقب الفتوحات الاستعمارية الواسعة في سعيهم للبحث عن أصل الثقافة والدين والفن.

أما الدراسات اللاحقة فقد استأثر باهتمامها ميدان الفنون التشكيلية الأفريقيّة وبخاصة الأقنعة وفن النحت الأفريقيّ؛ وذلك لإسهامها المتميّز وتأثيرها في بعض النتاج التشكيلي الغربي، والمثال البارز على ذلك الرسام بيكاسو ومرحلته الفنية المتميّزة المسماة بالمرحلة الزنجية، التي عبّر فيها عن أثر القناع والمنحوتات الأفريقيّة كأحد مصادر المهمة الفكرية والفنية.

والمجموعات الدينيَّة تتعايش مع بعضها البعض بدون إثارة أية مشكلاتٍ لتناسق متطلبات الحياة فيما بينهم، وهو الحال في السنغال، وبوركينا فاسو، والكاميرون؛ فهم يتقاسمون بعض الممارسات الإحيائية في احتفالاتهم الدينيَّة من خلال إيجاد أشكال توفيقية، ويُطلق أحياناً على الشعائر الطقوسية الأفريقيّة عبارة (Paganism) وترجمتها في القواميس الانجليزية: (دين وثني)، (رجز)، (عبادة الأوثان)، (وثنية)، وهو الاسم الذي يراه كذلك عددٌ من الباحثين الأفريقيّين مجرد اتهام.. يقول Kofi: (Pagan) أصلاً اسم يُطلق على أولئك الذين ليسوا بيهود أو مسيحيين أو مسلمين، ومع مرور الزمن صارت العبارة تُستخدم في ألئك الذين ليس لهم دين.. وبالطبع؛ فإن إفريقيا لها دين، ووصفُ الديانات الأفريقيّة بهذا الوصف يُعدّ تحقيراً وانتقاصاً لها وإنكاراً لميراثها الديني الكبير)[٩]: من العبارات التي تطلق وصفاً لديانات الغرب الأفريقيّ، وهي مشتقة من اللغة البرتغالية من كلمة Fetico، التي تُطلق عموماً على (أي عمل منحوت يصنعه الإنسان لغرض ديني كالتعاويذ الجالبة للحظ والتمائم) (Kofi١٩٧٨). والتي شاهدها البرتغاليون في رحلاتهم إلى إفريقيا على صدور وجذوع الأفارقة، ولاحقاً صارت العبارة مستخدمة لوصف أديان الغرب الأفريقيّ، حيث تقول Mary Kingsley: (عندما أقول Fitish أو Juju أعني بذلك الدين التقليدي لغرب إفريقيا).(Polytheism): وهو من المصطلحات المستعملة لوصف الديانات الأفريقيّة، ويعني: (الاعتقاد بأكثر من إله).

ويرى E.G.Parrinder في كتابه أديان إفريقيا أن الأديان عديدة الآلهة (Polytheism) متسامحةٌ في عقائدها، يمكنها بسهولة قبول أديانٍ وعقائد أخرى، ولا يوجد فيها آلهة غيورة تجاه الشرك؛ ما دامت لم تهاجم المعتقدات القديمة لهم؛ لذا أخذت هذا الوصف(١٠). وهكذا فالدين الوضعيّ بالنسبة لمسائل العقيدة؛ المعبود فيه قد يتغير من جيلٍ إلى جيل، ومن قبيلةٍ إلى أخرى، ويُلازمه النقص وعدم الكمال؛ ذلك لأنه من وضع الإنسان، والإنسان لا يمكنه أن يُحيط بجميع حاجات البشر ومتطلباتهم المتجددة دائماً. ومما تجدر الإشارة إليه أن الدارس للأديان الوضعيّة يجدُ فيها ذكر صفات الرب المتفرد بالكمال والجلال، أو ذكر اليوم الآخر والجزاء؛ مِمّا لا إمكانية للعقل معه من أن يستقصى علم الغيب، ولا قدرة له عليه؛ وهي اجتهاداتٌ بشريةٌ وضعت لإصلاح حياة أمة بعينها، مِمّا اصطُلِحَ عليه فيما بعد ديناً وضعيّاً، وإنتاج عقل في موروث جمع بين حق آثار وبقايا دين صحيح وباطل؛ فكان هذا المزيج ولاعتبار نسبته إلى إنسان معين؛ عُرف بأنه دين وضعي.

المطلب الثاني: نماذج من الأديان الوضعيّة في أفريقيا:

يمكن تقسيم الأديان التقليديَّة في أفريقيا إلى قسمين(١١)، هما:**الأديان التقليديَّة المحليَّة**: ويُطلق اسم الأديان الوضعيّة Normative Religions على أديان الشعوب التي تم تناقلها شفهياً منذ ما قبل التاريخ، وتستند معتقدات هذه الأديان في إطار الروحيَّة والماديَّة، ووحدة الوجود، وتعدد الآلهة. ولا شك أن تلك المعتقدات لا تعتمد على مؤسسات دينيَّة ذات مرجعيةٍ رسميةٍ أو أنبياء أو كتبٍ مقدّسة، بل انها تعتمد على السحر والاساطير المحليَّة التي نجمت عن مقدسات صورية أو خيالية، يترأس في أداء طقوسها في العادة (شامان) يتم تدريبه لكي يضطلع بمسؤولياته الدينيَّة سواء في القبيلة أو في القرية، أو على المستوى الفردي أو الجماعي. ويشكّل الإيمان نقطة التواصل مع الأسلاف والأرواح بشكلٍ عام اعتماداً على أساليب الشفاء الروحي والسحر، ولهذه الأديان سماتٌ مشتركةٌ بينها تجمع بين التقليديَّة والمحليَّة والخيالية. أما القسم الثاني فهو **الأديان**

التقليديَّة الوافدة: وهي الأديان المستمدّة من الأديان التقليديَّة التي تطوّرت في كل قارات العالم، والتي دخلت إلى إفريقيا نتيجة الاضطهاد الديني المسيحي بعد ظهور ما يسمى بالحروب الصليبية، وتشمل هذه الأديان عدّة تقاليد مثل تقاليد الفودون المنتشرة في الجزر الكاريبية، والسانتيريا التي تنتشر في كوبا وجنوب الولايات المتحدة، وكاندومبليه التي يمارسها الشعب في أمريكا اللاتينية عامة، والبرازيليون خاصة. وتشمل معتقداتهم – عادةً – نوعاً من تبجيل الأسلاف والأرواح المقدّسة مثل: اللوس في الفودون والأرويشا في السانتيريا. ومن السمات المشتركة بين هذه الأديان هي المزج الديني الذي يقوم به الفرد حيث يوجد في تقاليدهم ممارسات لا تخلو عن ما هو موجود عند المسيحيَّة واليهودية.

والمعروف أنه ليست للديانات الأفريقيّة الوثنيّة كتب مقدسة كتلك التي للوثنيات المشهورة في شبه الجزيرة الهندية على سبيل المثال، أو طقوس جنائزية مكتوبة بلغة مقدسة كتلك الموجودة في الوثنيّة المصرية، فالطقوس أمر متوارث، وغالباً ما يتم اختيار القائمين على سدانة الاوثان بالوراثة أو بالتلبس، وهو ما يجعل دراسة الأديان الأفريقيّة أمراً ليس باليسير، ويؤمن اصحاب الأديان التقليديَّة بأن الله قد خلق الكون بدافع من محبته، ولمجده، وهو مستقلٌ عن الكون ومنزّه عنه، لكنه يعمل فيه، ومع أن الكون مستقل بقوانينه العلمية الخاصة التي أوجدها الله، فالله يقوده ويرعاه إلى كماله النهائي؛ لذلك يرى اصحاب الأديان التقليديَّة أن هنالك أشكالاً متنوعة من التواصل مع الإله، منها: نزول المطر وجلب الفرح بالولادة وتجسيد الذات والخلاص، والروحيَّة وسر الفداء في الاموات، وانتقال الروح: وهي عبارة عن منحة من الله وليست من الوالدين، وتعطي الحياة للإنسان بشكلٍ من التصور والخيال، والموت ليس فيه أبدية بل تبقى الأرواح عالقةً في النفوس في شكل روايات أسطورية محضة، كذلك الشفاء من الداء: هو بمثابة من عاش حياته في الإيمان والرجاء والمحبة، وبذلك ينال رضا المريدين له، ويقدم ذلك في طقوس وعرّافين (الكجوريين).

وقد شبَّه البعض المعتقدات الدينيَّة التقليديَّة الأفريقيّة بالهرم.؛ فوضعوا الله

على رأس الهرم بصفته صاحب القوة الروحيَّة الاسمى، ووضعوا الآلهة التقليديَّة في الاسفل، واعتبروا الارواح والاسلاف خدماً لله، وبهم يتذكرون عائلاتهم على الأرض ويفعلون اموراً تعكس اهتمامهم بخيرهم. أما عند القاعدة فتوجد القوى الروحيَّة الادنى مثل السحر والعرافة والشعوذة.وتؤثر هذه الاقوال والمعتقدات التقليديَّة في معتنقي الديانات التقليديَّة.

المطلب الثالث: ممارسة الطقوس في الأديان الوضعيّة

يصعب جداً الفصل بين الشعائر التعبدية ومسالك الحياة اليومية عند أصحاب الديانات التقليديَّة الأفريقيّة؛ حيث تجد الأفكار والمفهومات الطقسية تتغلغل في ثقافة القبيلة؛ في قصصها وأساطيرها، طقوسها العلاجية والجنائزية، أعيادها واحتفالاتها. يقول Ray: (إن كلمة دين Religion بمفهومها الغربي (مفصولاً عن الحياة) لا توجد في التصور الأفريقيّ، بل لا توجد تلك العبارة في لغاتهم؛ لأن الدين يتغلغل في حياة الأفريقيّ اليومية كسلوكٍ مباشر)، وهو المفهوم الذي جعل Idowu: يقول عن الأفارقة: إنهم (أولئك الناس الذين يستخدمون الدين في كل حياتهم). وأن يقول Iwuoha: (الدين أمرٌ يدور حول البشر وحياتهم في إفريقيا)ويقـول MbonuOjike: (إذا كان الدين هو ما يُتاح قبوله لكل البشر فإفريقيا ليس لها دين، أما إذا كان الدين يعني: العمل أكثر من الكلام؛ فإن إفريقيا متدينة)[١٢]؛ ولأن الديانات التقليديَّة تنفذ إلى كل مؤسسات الحياة فلا وجود لتمييزٍ شكليٍّ بين جوانب الحياة المقدسة والدنيوية، بين الدينيَّة وغير الدينيَّة، بين الروحيَّة والماديَّة.

ومن أشهر الأديان الوافدة: **الأديان الطبيعية القديمة** (الوثنيّة): والتي سادت منذ ما قبل التاريخ حتى مجيء الأديان السماوية، وتندرج معتقدات الأديان الوثنيّة القديمة ضمن وحدة الوجود، الإحيائية، وتعدّد الآلهة، وترتبط بها تعاليمُ معظم سكان العالم القديم الفلسفية والروحيَّة والعلميّة والهندسية والبوذية وما شاكلها من الأديان الأخرى، وتُسمّى هذه الأديان في بعض الأوساط الأكاديمية

بـ (الأديان الطبيعية) أو العضوية. وكذلك **الأديان الباطنية القديمة**: التي كانت بمثابة التعاليم الجوهرية والسرّية للأديان الوثنيّة القديمة؛ والتي لم يدخلها إلا عددٌ محدودٌ ومختارٌ من الأشخاص الذين تم تدريبهم وتعليمهم كل أسرار الفلسفة الباطنية، وتُعرف أكاديمياً بـ Mystery Cults، وتنتشر في العالم القديم تحت لواء المدارس الروحيَّة والفلسفية والعلمية القديمة.

وتعتبر المدارس البيتاغورية، والهرمسيّة والنيو أفلاطونية من أهم المدارس الباطنية في العالم القديم، وقد تم إحياء هذه الأديان الباطنية القديمة في أفريقيا جنوب الصحراء منذ القرون الوسطى. **وأيضاً الأديان الوثنيّة الحديثة**: وهي الأديان المستمدّة من الأديان الوثنيّة القديمة أو تلك التي تسعى لإعادة إحيائها، والتي بدأت بالظهور تدريجياً ابتداءً من القرن التاسع عشر. وهنالك أربع فئات رئيسة تندرج ضمن إطار الوثنيّة الحديثة وهي: الويكا (دين وثني تم إشهاره على يد جيرالد غاردنر في بريطانيا في خمسينات القرن الماضي)، وحركات إعادة الإحياء Reconstructionism التي تسعى لإعادة إحياء الأديان القديمة مثل الديانة الكيميتية (إعادة إحياء الدين المصري القديم)، الهيللنيسموس (إعادة إحياء الدين اليوناني)، ريليجيو رومانا (إعادة إحياء الدين الروماني)، الهيثينية (إعادة إحياء الأديان الجرمانية)[١٣]. والفئة الثالثة هي الحركات الوثنيّة التي تستوحي من الأديان الوثنيّة القديمة لكنها تختلف عنها في بعض الأمور وتندرج الدرويدية ضمن هذا الإطار، أما الفئة الرابعة فهي تشمل العدد الأكبر من الوثنيين الحديثين وهي الفئة (الإنفرادية) التي تختار العناصر التي تريد اعتناقها وتمزج بين التقليد والوثنيّة القديمة، وبالتالي لا تنتمي إلى تقليدٍ واحدٍ محددٍ باستثناء الدين الوثني العام.

وهناك **الأديان الثنائية**: وهي تقوم على مبدأ ثنائية الخير والشرّ، والتي كثيراً ما تقترب من الأديان التوحيدية، أوتُصنّف أحياناً على أنها توحيدية كالمانوية التي أسسها ماني في إيران في القرن الثالث ميلادي، والتي تقوم على الصراع بين الظلمة (الشر والعالم المادي) والنور (الخير والعالم الروحي)، ومنها ما يستمرّ حتى اليوم

مثل الزرادشتية التي أسسها زرادشت في إيران في القرن السادس قبل الميلاد والتي تنظر إلى العالم أيضاً على أنه صراع بين أهورا مازدا (الخالق وإله الخير) وأهريمان (إله الشرّ). ومن الأديان كذلك **أديان البامبارا**: تقع قبائل البامبارا في غرب إفريقيا، ويؤمنون بالإله «فارو»، ويعتقدون أن «فارو» خُلق من السديم الأزلي في الفضاء، ثم صار إله الماء، وبعد ذلك قام بالانتصار على إله الأرض «بمبا» فاستطاع تدبير شؤون الكون، وهو أقرب لعروس بحر لها رأس بيضاء، ويتغذى على دم الأضاحي والطماطم وحساء الذرة، والإله فارو بإمكانه التشكل في هيئة مثل الكبش أو امرأة حسناء أو ضباب، ويتواصل مع العباد بواسطة الكهنة، يعرف هذا الإله بأسماء عدة مثل: «أشانتي» و«نانا» و«شوكو»[١٤] وتعبد قبائل «البامبارا» السماء وأركان الأرض الأربعة والجن، ويتخذون من الحجر أو الشجر أو أماكن وجود الماء محاريب لذبح الأضاحي للتخلص من الخطايا، فكل المخطئين يقومون بأداء الأضحية حتى يحصلوا على رضا الإله، ويقوم اعتقاد الأضحية على أن القوى الحيوية للذبيحة تنتقل إلى المعبود الذي تقدم إليه الضحية، وفي العادة يضحى بحيوان أليف ككبش أو طير، إلا إذا كان المضحي صياداً فيجب أن يقدم حيوانا برياً، ويجب أن تطول مدة احتضار الذبيحة أثناء موتها، لأن تحركاتها تساعد العرافين للتكهن بالغيب، والتنبه لكل ما يحدث.

وهناك **معتقدات القبائل في جابون**: وهي بأن الخليقة قد بدأت من خلال نفخ الخالق في الظلام، فخلقت امرأةً بيضاء تسمى «دنتوسنا»، تحمل الشمس في يمينها والقمر في يسارها، وينطلق من ثديها الأيمن سيلٌ من الدم ومن ثديها الأيسر سيلٌ من اللبن، والكواكب تستمد نورها من سناء تلك المخلوقة، وقد قامت بتلقيح الكون فتكونت النجوم واتخذ الكون شكل الزهرة، ثم اقترنت الشمس بالقمر فأنجبا الإله الذي قام بتقسيم الكون بأبعاده الثلاثة، مثل الطول والعرض والعمق، ثم خُلق الذكر والأنثى من مزج دم تلك المرأة بلبنها، وطرد الزوجان من أسرة الأرض حيث شجرة الحياة وأصبحا غير خالدين، ومن ثم بدأ التكاثر بين البشر وبعضهم البعض أو بين البشر والآلهة.

ومن أشهر الأديان أيضا **عبادة الأسلاف**: ويكنّ معتنقوها لأرواح الأسلاف احتراماً وتبجيلاً كبيرين جداً، يقول فرانسوا لا بلانتين: (إن بانتيون الأجداد ليس نسخة طبق الأصل لعالم الأحياء على غرار ما نجده في نظرية أفلاطون الأولى... فالأجداد الذين يتم ذكرهم وتمجيدهم مراتٍ عديدةً في اليوم هم بالأحرى قوة حافظة تمنح الحيوية، وتقوي القرية، وتضمن تناغمها، وتتيح تحييد قوى أخرى وإبعادها)[١٥] ويؤمن وثنيو الغرب الأفريقيّ بتجوّل أرواح الأجداد في الكون الفسيح، ويعتقدون أن علاقتهم مع أسلافهم علاقة قوية، ويشعرون برقابتهم المستمرة عليهم لاعتقادهم بوجودها حولهم وفيما بينهم، فعند قبيلة اليوروبا يظل الأب الذي توفي يُسمّى Baba si (أبي)، والأم المتوفاة Iya mi (أمّي)، ويُعاملان كأنهما لا يزالان على قيد الحياة، فالموتى قد انتقلوا فقط من عالمٍ ماديٍّ إلى عالمٍ روحيٍّ دون أن يقطعوا الوشائج مع الأحياء، والطريقة الشائعة بين القبائل الوثنيّة في الاتصال بالأسلاف هي طقوس الإراقة (طقس وثني، يعتمد على إراقة بعض الخمور على الأرض استرضاء للأرواح والآلهة). ويُعد هذا المصطلح الأكثر قبولاً بين الباحثين الأنثروبولوجيين الأفارقة وهو ذلك الذي أطلقه هاربرت سبنسر Herbert Spencer عام ١٨٨٥م في كتابه Princi-ples of Sociology (مبادئ علم الاجتماع)، وهو مصطلح: عبادة الأسلاف (ancestor worship)، وقد استخدم سبنسر المصطلح بناءً على تأمله الخاص في عقائد الغرب الأفريقيّ، وصار المصطلح ذائعاً؛ شائع الاستخدام بين الكتاب الأفارقة لوصف أديان المنطقة، لكن اعترض بعض باحثي الغرب الأفريقيّ على هذه التسمية، ويرون أن الأمر ليس عبادة بالمعنى المعروف، يقول Kofi: (بلا شك، يلعب الأسلاف دوراً كبيراً في المعتقدات التقليديَّة الأفريقيّة، ولكن تسمية الديانات الأفريقيّة بهذا الاسم يعد إفراطاً في التبسيط للمصطلح.. نعم للأجداد احترام خاص، فالأبناء يحرصون على إطعامهم، واستشارة أرواحهم في أغراض علاجية روحية، ولكن ليس الأمر عبادة محضة كما اصطلح).[١٦] ويبدو واضحاً أن الفلاسفة وعلماء الأديان (سماوية كانت أو تقليدية) لم يستطيعوا اختيار اسمٍ

جامعٍ يرضى عنه معتنقو هذه النِّحل، وتخضع معظم التسميات لثقافة المجموعة أو القبيلة المعتنقة لديانةٍ معينةٍ، بل يشجع بعضهم على التسميات المتخصصة حسب المناطق أو الأعراق (الإثنيات)، مع جعل اسم واحد يصنف كل الأديان تحتها بمسمى (الديانات الأفريقيّة التقليديَّة).

المطلب الرابع: الظواهر الثقافية الوضعيّة في الأديان الأفريقيّة.

للسحر: Magic شأن عظيم في الأديان التقليديَّة، وقد ظلَّ الساحر يتصدر مقامه في هذه الأديان على مر السنين، وهو يقوم مقام الكاهن في الأديان الحديثة فهم يجلونه ويعتقدون بأن له سراً من أسرار القوى الخفية، ويلجأ إليه الناس في كل الأحوال. وقد جاء في الموسوعة البريطانيَّة أن السحر ليس مجرد مظهرٍ من مظاهر الاعتقاد أو جزءاً من جهاز العمل في الإنسان، بل هو عبارة عن فن تُقلّب النظريات والعقائد إلى أعمال، والسحر، في الوقت نفسه ينطوي على الإقرار بما فوق الطبيعة، والإيمان بالقوة السحرية يمتد في مختلف فعاليات البشر.[١٧] وقد بين (ماليو فسكي) أن السحر يتميز بثلاثة موجهات أساسية لا ينفك عن الساحر.[١٨] **وهي** التعويذة :(الكلمات التي يرددها الساحر بموجب القاعدة العُرفية).والطقوس :(مجموعة الأعمال التي ترافق الساحر).وجوهر القوة السحرية:(يكمن في الاعتقاد بوجود قوةٍ غيبيةٍ فوق قوى البشر، تبث الحياة في جميع الموجودات).

وقد تختلف أعمال الساحر من منطقةٍ لأخرى حسب تأثيره بالظروف البيئية، ويمكن تصنيف الأنواع المختلفة من السحر إلى نوعين **هما**: سحر يستعين بتوسط الأرواح، وسحر منظم يراد به التأثير في الطبيعة، فكأن الساحر يعقد ميثاقاً مع الشيطان، وباختلاف القبائل وتنوع البيئة يتنوع السحر خاصة في جنوب أعالي النيل عند الدينكا والشلك وفى غرب جنوب السودان، والساحر يستخدم حركات السحر بالترنيم واللعب والمباركة فإذا قال المرء للسهم (أذهب فى خط مستقيم واقتل) ظن أنه يساعد السهم على القيام بمهمة القتل[١٩].

ويرى بيرجسون أن للسحر مبدأين: أن المعلول يشبه العلة وسمى بقانون التشابه أو المحاكاة، وأن الأشياء تتأثر مع بعضها البعض عند الاتصال وسمى بقانون الاتصال، ويقوم السحر على أقوالٍ وتصرفاتٍ يأتيها الشخص الذي يملك القدرة الكافية من المعرفة على إخضاع القوى الفائقة الطبيعية لتحقيق أهدافٍ معينةٍ؛ ولذلك يلجأ الطبيب البدائي أو الساحر إلى الرقى والتعاويذ لشفاء مريضه أو إيذاء غريمه، أو إثارة الحب أو الكراهية، أو إنزال المطر، ففي هذه الحالة نحسبه ساحراً ولكنه من الناحية الأخرى قد يكون مديناً إلى أرواح الإلهة والتوافق معها لامتلاك القوة السحرية[٢٠] فالسحر هو المحاولة بترديد بعض الألفاظ أو القيام بأعمال يستطيع بموجبها إخضاع إرادة الإنسان.

وللسحر أنواع وأوضاع وأوصاف تختلف باختلاف البيئات وأساليب العمل، فهنالك ما يسمونه السحر التقليديّ الذي يقوم على نظام المحاكاة، ومثال ذلك ما نشاهده في بعض القبائل، اذ يعتقدون مثلاً إذا ذهب المزارع إلى حقله وقت تفتح براعم الحبوب، وقام بأداء بعض الألفاظ فإن النبات ينمو، أو ذهب أحدٌ إلى تلٍّ منحدرٍ ودحرج الحجارة من فوق المنحدر وهو يدق الطبول ويحدث أصوات عالية فإن ذلك يحدث عاصفة رعدية وتهطل الأمطار! وهناك ما يسمى بالسحر الأسود، ويعتقد بأنه له القدرة على إخراج الأرواح الشريرة من المصابين بها، أو إدخالها في أجسام الأصحاء، وأمثال هؤلاء هم الأطباء السحرة والمشعوذون، فالسحر صناعة يقصد منها إحداث الخوارق وهو فن يتشعب إلى شعبٍ كثيرةٍ ويختلف من حيث قيمة أهدافه، إذ منها الخيرة كشفاء المرضى ومعرفة السارق، ومنها الشريرة كجلب الأمراض وإيقاع العداوة بين الأزواج والأصحاب، وهناك ما يسمى بالسحر الأبيض، وقد نما القسم الذي يقوم على الاستعانة بالأرواح لتحقيق مآرب الساحر، لأنه هو الذي ينصرف اليه اسم السحر عند إطلاقه .

المطلب الخامس: الأساطير في الأديان الوضعيّة الأفريقيّة

يختلف استخدام الاساطير في الأديان التقليديَّة في أفريقيا باختلاف البيئة التي تمارس فيها الاسطورة، هذا بالاضافة إلى اختلاف العادات والتقاليد، ودرجة ثقافة ونمو المجتمع الفكري والمعرفي، وعلى الرغم من تلك الاختلافات إلا أنّ الأقوام البدائية في افريقيا لم تتوقف عن الحديث عن الاساطير التي هي بمثابة ثروتهم الطائلة حيث يعتقد الكثيرون أن الاعتقاد في الاساطير هي السبب في صحتهم وعلمهم باسرار الطبيعة، فتعلق تصورهم باسم فرسان الهيكل نتيجة للأسرار التي نقلت عنهم منذ العصور القديمة، وقد كثرت عنهم الشائعات عن فاعلية الاسطورة في تنظيم شكل الحياة عند البدائيين فكانوا يحذرون من اللعنة بسبب تقاعس أيِّ فردٍ في الامتثال لقوانين التنظيم المحلي أو الاخلال من حماية التنظيم، فالذي يخالف التنظيم سوف يموت، وسيقابل الاسطورة بعد شهر من موته في الدار الآخرة ليحاكم على جرمه في حق التنظيم، كمايعتقدون ان اللعنة سوف تقع قبل الموت وبعده، وهذا ما ورد ذكره عند كتب الفيدا والماسونيين الذين اختُرعوا العديد من القصص الوهمية والروايات الشعبيَّة التي تحكي عن بطولاتهم وشجاعتهم مثل (إيفانهو، وبندول فوكو والرمز المفقود، وشيفرة دافنشي).[٢١] وفي جميع الأديان الأفريقيّة الوضعيّة اعتقاد فيما وراء الموت بشكل أو بآخر، كما تعتقد أن المتوفى تستمر حياته في عالم الأرواح... ومفاهيم الخير والشر موجودة أيضاً في هذه الديانات، بل لعلها عميقة الجذور فيها إلى حدٍّ لا يتصوره الكثير من الناس. وتعتقد قبائل التوركانا من كينيا مثلاً إن الله مع أنه يشفي من المرض، قد يصيب به أولئك الذين يغشون المحارم ويخالفون الطقوس الهامة)[٢٢].

المطلب السادس: الإسلام والدعوة في أفريقيا

تعتبر إفريقيا في مجال الأديان المقارنة «قارة الإسلام»؛ حيث إنها القارة الوحيدة التي تُقدّر فيها نسبة المسلمين بأكثر من نصف السكان، وبحمد الله نستطيع أن نقول أن الإسلام هو الدين الأوسع انتشاراً في أفريقيا، ويزداد انتشاره أكثر من أيِّ ديانةٍ أخرى سواءً كانت سماوية أو تقليدية متوارثة، والعديد من الدول تعد الإسلام الدين الرسمي لها، مثل تشاد والسنغال وغينيا ومالي والنيجر، بالإضافة إلى دول شمال إفريقيا العربية، فضلاً عن أن عدد الدول الأفريقيّة الأعضاء المؤسسين في منظمة المؤتمر الإسلاميّ كان ١٣ من مجموع ٢٥ دولة، وازداد عددها إلى أن وصل إلى ما يقرب من نصف عدد الأعضاء، الجدير بالذكر أن الكثير من الأفريقيّين الذين دخلوا الإسلام حديثاً يدخلون في إطار المؤلفة قلوبهم، وبالتالي فهم من مستحقي الزكاة. وتُعد القارة الأفريقيّة الأكبر من حيث تركّز المسلمين بها؛ إذ قُدّرت نسبة المسلمين إلى إجمالي عدد السكان بما يقرب من النصف.

أما التوزيع الجغرافي للمسلمين في القارة فمركز ثقل الإسلام يوجد في شمال القارة وغربها وليس في شرقها؛ على الرغم من أن شرقها أقرب للأرض المقدسة في الجزيرة العربية حيث نشأ الإسلام، وكان من المنطقي أن يكون الإسلام في شرق القارة أكثر انتشاراً نظراً إلى القرب الجغرافي النسبي وللعلاقات التجارية الأقدم. وتركّز الإسلام في شرق إفريقيا في الصومال و«زنزبار» (التي أصبحت جزءاً من تنزانيا فيما بعد)، والمنطقة الساحلية لشرق إفريقيا، وقد وقف في طريق انتشاره، من ناحية، وجود إثيوبيا، والتي يُنظر إليها بوصفها جزيرةً مسيحيةً في بحر من المسلمين، بل إن من العوامل الأساسيَّة التي دفعت بالبرتغاليين الأوائل للدوران حول إفريقيا هو محاولة الوصول إلى تلك المملكة المسيحيَّة، ومن ناحية أخرى فإنَّ منطقة شرق إفريقيا جبلية وليست سهلية، أي أنها جغرافياً ليست مفتوحة، فضلاً عن خضوع المناطق الساحلية في شرق إفريقيا لسيطرة سلطان

مسقط من جهة، ثمّ النفوذ المصري من جهة أخرى، وقد أسهم ذلك في إثارة المخاوف من خطر التسلّط العربي، وهو الأمر الذي كرسته وأذكته القوى الاستعمارية في محاولة لاتباع سياستها التقليديَّة «فرّق تسد» في محاولة لإضعاف النفوذ الإسلاميّ.

تمتد مرحلة انتشار الدين الإسلاميّ من أواخر القرن التاسع عشر حتى الوقت الحالي، وتتميز بالانتشار السريع للإسلام على مستوى القارة في ظل الوجود الاستعماري، حيث لم تستطع السلطات الاستعمارية المختلفة التي اقتسمت القارة فيما بينها في ظل مؤتمر برلين ١٨٨٤م – ١٨٨٥م أن تفرض سيطرتها الفعلية إلا بعد القضاء على الزعامات والمملكات الإسلاميَّة التي واجهتها وأعلنت الجهاد ضدها، إلا أنها لم تستطع أن تقف في وجه انتشار الإسلام الذي تمّ بصورة أوسع في ظل الوجود الاستعماري؛ على الرغم من جهود التنصير الذي عمل تحت حظوته والذي زاد نشاطه في القرن التاسع عشر؛ وهو ما دعا بعض الباحثين إلى تسميته بقرن التنصير في إفريقيا، ومع هذا فقد انتشر الإسلام بصورة أصبح يُعرف معها القرن العشرون بقرن الإسلام في القارة.

إذا صحَّ تصنيف العقائد الوثنيّة إلى وثنياتٍ بسيطةٍ، ووثنياتٍ معقّدة؛ بناءً على إيمانهم بوجود إلهٍ كلي القدرة خالقٍ للكون؛ فإن وثنيات إفريقيا يمكن تصنيفها كوثنيات بسيطة، فوثنيو أفريقيا يؤمنون بوجود إلهٍ خالقٍ سامٍ يفوق الإدراك، ويقرّ بعضهم بخلقه للسموات والأرض والأنهار والجبال، وهم في ذلك كمشركي مكّة: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾[٢٣]. ويتشابه معتقدهم في كذلك في إشراكهم الجنّ والملائكة (يسميها وثنيو إفريقيا: أرواحاً، أو فودو) مع الله سبحانه وتعالى، والزعم بأنهم أبناء لله وبنات له (تعالى عن قولهم)، وهو نفس ماورد عن مشركي مكة: ﴿**جَعَلُواْ للهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[٢٤] وكما غلا مشركو مكة في تعظيم آبائهم؛ فكذلك فعل

وثنيو إفريقيا، بل وفاقوهم في اتخاذ أرواح الأجداد وسائط إلى الله عزَّ وجل، ولعلنا ان أتبعنا طريقة القرآن في الدعوة ننجح في إدخال إخواننا هؤلاء في الإسلام ومن ذلك أن ننبهم على أن الآباء والأجداد قد قضوا، وأنهم لا يعقلون شيئاً مما يدعوهم به، مستندين في ذلك على قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[٢٥] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[٢٦]، والإستعانة بقصص الأنبياء الذين جادلوا أقوامهم في عبادتهم لغير الله، وبيان أن الله تعالى لما خلق آدم (وهو الأب الأول للكل، ولو كان ثمة أحد الأباء أحق بالاتباع فهو الحقيق بذلك لكونه السلف الأول)؛ مع توضيح أن كثيراً من السدنة وأصحاب الأصنام وخدامها إنما يبحثون عن العلو وطلب الرفعة بين أقوامهم بسبب هذه الآلهة؛ ولهذا يزعمون أنهم ورثوها من آبائهم، وأنهم لا يريدون أن يتركوا ميراثهم، فيضفون عليها قداسة وشرعية.: ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢٧] كما يمكن سؤالهم عن من الذي أمرهم بعبادة هذه الأصنام؟ والإقتداء بيوسف عليه السلام وهو يدعو صاحبيه في السجن: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يا قوم! أهذه الأوثان والمعبودات المتعددة في الذوات والصفات، التي لا تضرّ ولا تنفع خير للعبادة، أم الله الواحد المتفرّد بالألوهية والربوبية، المعبود بحق والقادر على كل شيء؟ وانكم ما تعبدون من الأصنام والأوثان إن هي إلا مجرد أسماء لا حقيقة لها، سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم من تلقاء أنفسكم، هل أمركم الله بأن تسموها هكذا؟ أهذا هو الدين الذي يرتضيه الله؟ ويورد الداعيَّة أسماء الآلهة المعبودة في المنطقة ويفندها اسماً اسماً، وهي جمادات لا تسمع ولا تُبصر، ولا تضرّ ولا تنفع، ما أوحى الله بعبادتها، وما أنزل بها من حجة أو برهان.[٢٨]

الخاتمة

توصل الباحث إلى عدة نتائج جديرةٍ بالذكر في هذا المقام أهمها:

- لم تكن كلمة (دين) أو (عقيدة) تطلق من قبل على الشعائر الممارسة في إفريقيا، بل جاء وصفها بهذه العبارات متأخراً.
- الأديان الوضعيّة هي اجتهاداتٌ بشريَّةٌ وضعت لإصلاح حياةٍ أمة بعينها، مِمّا اصطُلِحَ عليه فيما بعد ديناً وضعياً.
- في قارة إفريقيا ـ ونظرا لتعدد الديانات ـ من الصعوبة بمكان تقصي تاريخ الأديان فالجدول الزمني لتاريخ الأديان في افريقيا هو عبارة عن فترات تاريخية متسلسلة لها علاقة وثيقة بالتراث الشعبي.
- الأديان عديدة الآلهة (Polytheism) متسامحة في عقائدها، ويمكنها بسهولة قبول أديان وعقائد أخرى، ولا يوجد فيها آلهة غيورة تجاه الشرك؛ ما دامت لم تهاجم المعتقدات القديمة لهم.
- يمكن تقسيم الأديان التقليديَّة في أفريقيا إلى قسمين، هما: **الأديان الوضعيّة المحليَّة**: ويُطلق اسم الأديان التقليديَّة على أديان الشعوب التي تم تناقلها شفهياً منذ ما قبل التاريخ، و**الأديان الوضعيّة الوافدة**: وهي الأديان المستمدّة من الأديان التقليديَّة التي تطوّرت في كل قارات العالم.
- ليست للديانات الأفريقيّة الوثنيّة كتبٌ مقدَّسةٌ كتلك التي للوثنيات المشهورة في شبه الجزيرة الهندية على سبيل المثال، أو طقوسٌ جنائزيةٌ مكتوبةٌ بلغةٍ مقدسة، فالطقوس أمر متوارث.
- يلعب الأسلاف دوراً كبيراً في المعتقدات التقليديَّة الأفريقيّة، ولكن تسمية الديانات الأفريقيّة بهذا الاسم يعد إفراطاً في التبسيط للمصطلح.
- في جميع الأديان الأفريقيّة الوضعيّة اعتقاد فيما وراء الموت بشكلٍ أو بآخر، كما تعتقد أن المتوفى تستمر حياته في عالم الأرواح.

- يختلف استخدام الاساطير في الأديان الوضعيّة في أفريقيا لاختلاف البيئة التي تمارس فيها الاسطورة، هذا بالاضافة إلى اختلاف العادات والتقاليد، ودرجة ثقافة ونمو المجتمع الفكري والمعرفي.

- الإسلام هو الدين الأوسع انتشاراً في أفريقيا، ويزداد انتشاره أكثر من أي ديانة أخرى سواء كانت سماوية أو تقليدية متوارثة. وتُعد القارة الأفريقيّة الأكبر من حيث تركّز المسلمين بها؛ إذ قُدّرت نسبة المسلمين إلى إجمالي عدد السكان بما يقرب من النصف.

الهوامش

١. سورة هود: ١١٨-١١٩.

٢. تفسير الجلالين، جلال الدين السيوفي وجلال الدين المحلي، مراجعة المباركفوري، دار السلام، الرياض ص/ 482.

3. The American Heritage dictionary –1982

4. The Elementary Forms of Religious Life 1965

5. Spencer، H. – First Principle p.27

٦. الجرجاني(١٣٦٣هـ).التعريفات.تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢. (ص:٥٤)

٧. سورة آل :عمران ٨٥.

٨. الهاشمي، طه (١٩٦٣م).تاريخ الأديان وفلسفتها، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ١، ص ١٧.

9. (Kofi 1978، p 4). Fitishism

10. (EpworthPress، London، 1961، p11)

١١. أنظر:بتصرف، نجم الدين السنوسي، الأديان التقليديَّة في أفريقيا، مجلة قراءات أفريقية. https://www.qiraatafrican.com.

١٢. عاصم محمد حسن محمد ، مجلة قراءات، العدد ٣، ذو الحجة ١٤٢٩هجري سبتمبر ٢٠٠٨ ميلادي، الديانات الأفريقيّة القليدة في غرب

أفريقيا

١٣. اسكندرية ٤١٥، العدد الأوّل: مقدّس بوجوه كثيرة

١٤. سلجيمان، السلالات البشرية في إفريقيا، مكتبة العالم العربي، القاهرة، ط١، ص١٢٣.

١٥. أبحاث في السحر، مجموعة دراسات، ١٩٩٥م.

16. (Kofi 1976).

١٧. سامي النشار، نشأة الدين، النظريات التطورية، الأسكندرية، دار نشر الثقافة، ١٩٧٣-٥٧-٥٨.

١٨. روجر باستيد ١٩٥٣-٧٥.

١٩. طه الهاشمي، تاريخ الأيان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣-٢٠٩.

٢٠. سعيد ١٩٨٣-١١ .

٢١. العقاد، الله، كتاب في نشأة العقيده الالهيه ١٩٦٠، ص ١٩.

٢٢. الرب والله وجوجو.. الأديان في إفريقية المعاصرة، تأليف القس جاك مندلسون، من الكنائس التوحيدية (uniturian churches)، ترجمة إبراهيم أسعد، ص١٠٨.

٢٣. سورة لقمان:٢٥.

٢٤. سورة الأنعام:١٠٠.

٢٥. سورة المائدة:أية رقم ١٠٤.

٢٦. سورة الأعراف:أية رقم ٧١.

٢٧. سورة يونس:أية رقم ٧٨.

٢٨. أنظر: عاصم محمد حسن محمد ، مجلة قراءات، العدد ٣، ذو الحجة ١٤٢٩هجري سبتمبر ٢٠٠٨ ميلادي، الديانات الأفريقيّة القليدة في غرب أفريقيا.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. الجرجاني(١٣٦٣هـ).التعريفات.تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢.

٢. تفسير الجلالين، جلال الدين السيوفي وجلال الدين المحلي، مراجعة المباركفوري، دار السلام، الرياض ص/ ٤٨٢.

٣. أبحاث في السحر، مجموعة دراسات، ١٩٩٥م.

٤. آرنست رينان(ب ت).تاريخ الأديان.مكتبة العلم. القاهرة، ط٢.

٥. العقاد . الله، عباس محمود العقاد، الله، كتاب في نشأة العقيده الالهيه، ط٢، دار المعارف، القاهره، ١٩٦٠، مصر.

٦. حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في إفريقيا. القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م، ص ٣٦. ولمزيد من المعلومات انظر: د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: حركة المد الإسلاميّ في غربي إفريقيا. القاهرة ـ مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥م.

٧. طه الهاشمي، تاريخ الأيان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٣م

٨. عاصم محمد حسن محمد، مجلة قراءات، العدد ٣، ذو الحجة ١٤٢٩ هجري سبتمبر ٢٠٠٨ ميلادي، الديانات الأفريقيّة القليدة في غرب أفريقيا.

٩. سلجيمان، السلالات البشرية في إفريقيا، مكتبة العالم العربي، القاهرة،

ط١، ص١٢٣.

١٠. نجم الدين السنوسي، الأديان التقليديَّة في أفريقيا، مجلة قراءات أفريقية، https://www.qiraatafrican.com.

11. The American Heritage dictionary –1982.

12. The Elementary Forms of Religious Life 1965.

13. Spencer Trimingham، A History of Islam in West. Africa، London: Oxford University Press، 1962.

14. Durkheim، Emile – The Elementary Forms of Religious Life. New York 1965.

15. EpworthPress ،London1961.